محطات رئيسة في مسار الرواية العربية الجزائرية

د /عثمان رواق
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

الملخص:

- تهدف هذه الورقة البحثية لإلقاء الضوء على أهم المحطات التاريخية والجمالية التي عرفتها الرواية العربية الجزائرية في مسارها الإبداعي،مع التعريج على الأسباب والعوامل التي جعلت هذه الرواية تتسم بسمات مختلفة جماليا و موضوعاتيا من مرحلة إلى أخرى،وذلك حسب المدرسة الفكرية والفنية المهيمنة في كل مرحلة،حيث يلاحظ القاريء للرواية الجزائرية تحولا عميقا في الكتابة الروائية الجزائرية من مرحلة إلى أخرى.

بداية بميلاد هذه الرواية في أحضان التوجه الإصلاحي بتوجهاته الأخلاقية وفلسفته الإصلاحية القائمة إلى محاولة تحقيق الانسجام بين طبقات المجتمع حتى لا تتعدى إحداها على لأخرى ووصولا إلى التوجه الواقعي للرواية الجزائرية وتعدد موضوعاتها وجمالياتها الخاصة، وفلسفتها الاجتماعية التي ندور حول هموم المجتمع وتطلعاته وأحلامه؛في ظل هيمنة الإيديولوجيا الاشتراكية الاجتماعية ورغبة أصحابها في مناصرة الطبقات الكادحة المكافحة من أجل حياة أفضل،فكان هذا التحول تحولا مناقضا تماما لما عرفته الرواية الإصلاحية وأفكارها. لنعرج بعد ذلك على الرواية الجزائرية الجديدة والتي جاءت في مرحلة حرجة من مراحل تطور المجتمع الجزائري،حيث مارست التجريب والتجديد في قضاياها وجمالياتها معلنة القطيعة مع الأشكال التعبيرية القديمة لكتابة الرواية منفتحة على أشكال جديدة أكثر جرأة وأكثر تحررا وتحاول الدراسة الإجابة عن جملة من التساؤلات :

- أولها،مدى تأثير الحركية الاجتماعية في تحول النص الروائي.
- ثم مدى التحولات التي لحقت الرواية عبر مراحلها المختلفة.
- ثم مدى تأثر الرواية الجزائرية بتيارات التجديد في مجال الكتابة الروائية .

resume

Cette intervention vise à mettre au jour les principales étapes historiques et esthétiques qu'a connues le roman algérien dans son parcours créatif. Nous ferons également un détour sur les causes et les paramètres qui donnent à ce roman ces spécificités esthétiques et thématiques d'une époque à une autre et cela l'école littéraire dominante de chaque époque. Le lecteur ne manquera de relever ces transformations profondes de l'écriture selon l'époque.

Les débuts de la naissance du roman s'étaient faits dans le cadre de l'orientation réformiste avec ses visées morales et sa philosophie qui essaie de réaliser une homogénéité entre les différentes couches de la société. Puis ce fut l'orientation réaliste et ses multiples thématiques et esthétiques et sa philosophie sociale qui tourne autour des préoccupations et aspirations de la société et ce dans le cadre de la prépondérance de l'idéologie socialiste et l'engagement à défendre les couches prolétariennes qui luttent pour une vie meilleure. Ceci a donné naissance à un roman en complète opposition avec ce qui a précédé à savoir le roman réformiste et ses préoccupations morales.

Nous arrivons par la suite au nouveau roman algérien. Il s'est développé à une époque difficile de la société algérienne. Durant cette époque le roman s'est ouvert aux différentes expériences et de la modernité romanesque. Renouveau qui se manifeste dans les sujets traités et ses aspirations esthétiques. Il a déclaré la profonde rupture avec les anciennes

formes d'expression dans l'écriture romanesque et consacrant par la même l'ouverture sur de nouvelles formes plus osées et plus libres.

Nous essayerons d ans cette étude de répondre à plusieurs questionnements :

- En premier lieu, dans quelle mesure le mouvement social peut il influencer les transformations du texte romanesque.
- Par la suite quelle est l'ampleur des transformations qu'subies le roman aux différentes époques
- Enfin dans quelle mesure le roman algérien est il influencé par les mouvements modernistes dans le domaine de l'écriture romanesque.
-

تمهيد:

لم تلق الرواية ذلك الاهتمام الذي تستحقه في الساحة الأدبية الجزائرية؛ إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ الأدب الجزائري، وذلك مقارنة بما ناله فن الشعر من اهتمام كبير، منذ فجر النهضة الأدبية التي عرفتها الجزائر بداية العشرينيات من القرن العشرين، فقد كان مدار هذه النهضة ووسيلتها المفضلة مع المقالة والقصة بدرجة أقل، وإن كان أبو القاسم سعد الله في كتابه دراسات في الأدب الجزائري الحديث يرى أن التخلف والضعف لم يكن مقتصرا على جنس الرواية وحدها، وإنما ينسحب على كل الأجناس التعبيرية، ويرجع ذلك بالأساس إلى سياسة التجهيل والمسخ التي انتهجتها فرنسا في الجزائر بعد احتلالها مباشرة،بالإضافة إلى تفرق أهل العلم بين منفي ومشرد وشهيد ومقاوم "إذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حين نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية ونحو ذلك فإنه في الجزائر كان على عكس ذلك، إذ لم يأت لنشر حضارة وإنما جاء لسلب أفكار شعب ويزور تاريخه.. لقد تحجرت الحركة الفكرية عموما وحركة الأدب على الخصوص، فقد تشتت كل الجهود العقلية المنتجة وتشرد الأدباء والشعراء والوطنيون واندمج بعضهم في المقاومة الوطنية ..وشغل الناس عن الشعر و الأدب ولم يعد من همهم التعبير الجميل. .وما أبعد الأدب في ذلك الزمان عن أن يدخل معركة سياسية،أو يجسم روحا قومية أو أن يحفز إلى مستقبل وطني فيه عزة و كرامة و فيه حرية و استقلال"1

و لعل هذا ما جعل فن الرواية يتأخر في الظهور، إلى نهاية الأربعينات ويبدأ بداية متعثرة أول الأمر،لأن جهود رواد النهضة انصبت على الشعر والفقه وعلوم الدين والقرآن الكريم؛ كنوع من المقاومة لاسترجاع الهوية العربية الإسلامية المستلبة من المحتل البغيض، فكانت نهضة تقليدية تستمد كل حيثياتها من التراث وكانت الرواية أبعد ما تكون عن تلك الأجناس الأدبية العربية التقليدية وأبعد ما تكون عن اهتمام رواد النهضة من علماء ونقاد وأدباء، يضاف إلى ذلك غياب حركة نقدية تؤسس لهذا الفن وتروج له، لغياب الناقد العارف والمتخصص في هذا المجال، خاصة وأن فن الرواية فن غربي بامتياز يحتاج إلى دربة ودراية ومعرفة ويحتاج إلى اطلاع واسع "وقد ازدهر هذا النوع من الأدب أثناء القرن السادس عشر وذلك كمعظم الأنواع السردية الأخرى في الآداب الغربية .."2

بل إن جدوره الأولى تعود إلى الكتابات الغربية التي ثارت على آداب العصور الوسطى وأدب الفرسان والإقطاعين، والذين بشروا بقيام المجتمع البورجوازي الساعي للنهوض بالإنسان والرقي بحياته ولعل رواية الدون كشوط للكاتب (ميغاييل دي سرفنتس) كانت أولى هذه الأعمال الناجحة، حيث وجهت نقدا لاذعا للمجتمعات القديمة وللفكر الإقطاعي المتمترس خلف أسطورة الفارس النبيل "إن الندم على حياة الفروسية التي عاشها (سرفانتس) والتي لم يخرج منها بشيء، هو السبب الأكبر القابع وراء كتابة دون كيشوط، وبما أنه نادم على حياة الفروسية، فإنه مضطر لخلق شخصية تشغفها الفروسية قيما وممارسة ليعود بهذا المخلوق في نهاية المطاف إلى منزله كما عاد هو خالي الوفاض،إنه ينتقم من الفروسية"3

هذا دون أن ننسى الحالة المزرية للمجتمع الجزائري المهشم، والخالي من كل مظاهر المجتمعات الحديثة في تلك الفترة، فلا يمكن الحديث عن طبقات اجتماعية، ولا من صراع طبقي يمكن أن يكون مجالا خصبا للكتابة الروائية، فقد تمكن المحتل من كسر التراتبية الاجتماعية الجزائرية، وحط من قدر كل الجزائريين فجعل منهم نسخة واحدة، من أبرز معالمها الفقر والجهل والتخلف والتبعية الاقتصادية والاجتماعية للفرنسي المحتل، وهو الأمر الذي أخر ظهور الرواية وفتح المجال للشعر لأن الرواية تحتاج إلى بنية اجتماعية خاصة لتنمو وتزدهر، وكان هم أدباء ما قبل الثورة "هو التطلع لاستقلال البلاد واسترجاع الهوية، ولم تكن للمشاكل الاجتماعية إلا دور ثانوي حينئذ في تحريك الجماهير"4

في مثل هذا المناخ الاجتماعي والثقافي المزري؛ لم يكن متوقعا أن يبدع الأديب الجزائري رواية بالمعنى الحقيقي للرواية، باعتبارها جنسا أدبيا يهتم بالحياة الاجتماعية ويحاول أن يحلل ويبين عوامل التخلف والانحطاط التي تصيب المجتمعات، كما يحاول رصد الحركية الاجتماعية وصراع الإنسان من أجل حياة أفضل ومن أجل نصرة القضايا العادلة في هذا الصراع، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أبا القاسم سعد الله وبشيء من الحماسة والتسرع قد أعلن "أن أول رواية جزائرية بل وعربية على وجه الإطلاق كانت محاولة الأمير مصطفى بن براهيم الموسومة ب: حكاية العشاق في الحب و الاشتياق والتي كتبت في حدود سنة 1849،وقد احتفل بها الباحث احتفالا كبيرا ورأى فيها سبقا للأدب الجزائري إلى مثل هذا الفن الأدبي الجديد، كما أشار إلى ذلك أحمد دوغان في كتابه في الأدب الجزائري، وصالح مفقودة في كتابه المعنون ب: أبحاث في الرواية العربية، لكن الواضح أنهما يعتبران هذا العمل من إرهاصات الكتابة الروائية لأنه عمل لا يرقى إلى فنية الرواية، لذلك وضعها الباحث صالح مفقودة ضمن البدايات غير الناضجة، أو المحاولات الجنينية لكتابة الرواية في الجزائر،"5.

ذلك أن هذا العمل وإن توفرت فيه بعض عناصر القصة، إلا أنه حمل الكثير من الموروث الشعبي والهامشي، واستند إلى تقنية القصص الشعبي في رسم الشخصيات، وإدارة الحدث الذي لم يحمل جديدا بعيدا عما هو متداول عند القاص الشعبي، فكانت اللغة العامية حاضرة، وحضرت المصادفة و الأشعار وكانت الأسماء التراثية المستمدة من ألف ليلة وليلة مثل ابن الملك وابنة التاجر، والعطار و العجوز، إن قصة مصطفى بن إبراهيم –حكاية العشاق في الحب و الاشتياق- لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون رواية، وسواء كانت الرواية الوريثة الشرعية للملحمة القديمة،أو هي ملحمة بورجوازية، أو كانت فنا جديدا لا علاقة له بما عرفته الإنسانية من فنون قديمة، أو "هو الفن القابل للتحول المستمر، أو إعادة التشكل في كل مرة حسب باختين"6

فإن الساحة الأدبية الجزائرية، ظلت محتفية بالشعر دون غيره من الفنون الأخرى إلى بداية الأربعينات من القرن العشرين. حيث انتعشت الفنون السردية وفي مقدمتها فن القصة خاصة على يد الكاتب والمبدع الجزائري أحمد رضا حوحو" الذي ساعدته ثقافته المزدوجة ورحلاته المختلفة في بلاد الشرق والغرب على الإحاطة بتقنيات الكتابة القصصية، وعلى إدراك أهمية هذه الفنون للرقي بالمجتمع" 7

أ- مرحلة الرواية الإصلاحية:

كانت الحملة الاستعمارية شديدة البأس على عناصر الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، فلم تدخر فرنسا جهدا لطمس هذه العناصر وتجريد الأمة منها، فتعددت الوسائل وتنوعت الطرائق وكانت الغاية واحدة، ومن الأساليب الاستعمارية المنتهجة في هذا السياق:

- التجهيل المبرمج، بإغلاق المدارس والزوايا والكتاتيب وترحيل العلماء وتهجيرهم ونهب المكتبات ومصادرة محتوياتها " كانت قبل الاحتلال الفرنسي الكتاتيب والمساجد والزوايا منتشرة في جميع أنحاء البلاد يتلقى فيها النشء ثقافته العربية الإسلامية فلا يجهل الاستعمار أن العلم سيف قاطع فإذا تسلح به الجزائري أمكنه أن يقاومه، فسعى حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية و إلغاء العنصر الإسلامي بالتفقير وتجهيل مابقي منه، وما هي إلا فترة وجيزة حتى خلت البلاد من العلم، إلا أنه في سنة 1883 أخذ يفتح المدارس في وجه الأهالي لكن التعليم كان فرنسيا بحتا ..وكان الهدف تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة حتى يسهل إدماجهم"8

- التشكيك في هوية الشعب الجزائري ونشر الفتن والنزعات القبلية والعصبيات المدمرة لوحدة الأمة وقد ألح في الكثير من أكاذيبه على فرنسة الشعب الجزائري، أو سلخه من عروبته وإسلامه ولعل ذلك مادفع عبد الحميد بن باديس للرد على هذه السياسة بنصه الشعري المعروف، شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب، والذي يرى فيه عبد الملك مرتاض" أنه ينهض على ثلاث قيم تندمج فتشكل كتلة واحدة من القيم، الشعب الذي يمثل قيمة بشرية، والجزائر التي تمثل قيمة حضارية وتاريخية وجغرافية، والمسلم الذي يمثل فيمة عقدية وروحية،...وكل هذا تجسيدا لانتماء الشعب الجزائري، وذلك بتسبيق موضوع الانتماء للعروبة على الانتماء نفسه."9

لكن ذلك لم يمنع من بروز نخبة مفرنسة تحتقر الإنتماء العربي، وتمني نفسها بالذوبان في الحضارة الفرنسية وهي النخبة التي اختارت الثقافة الفرنسية، كنوع من التعبير عن التحضر و الحداثة.

-التحقير الحضاري و الطعن في المنجزات الحضارية للعرب، فوصف العرب في كتب الفرنسيين أن العربي همجي لا يعرف إلا السيف والعنف وهو لم ينتج شيئا ذا قيمة حضارية، و أن كل منتجاته الحضارية هي من إبداع الفرس أو الرومان أو الإغريق، وهذا ما جعل الكثير من أبناء الجزائر يؤثرون الفرنسة على التعرب و الانتماء الفرنسي على الانتماء العربي.

- الفصل بين الجزائر وبين العالم العربي حتى لا تستقي الثقافة العربية من موطنها الأصلي، وتزيد من جهل الجزائريين بأصولهم العربية، وما حملة تغيير ألقاب الجزائريين وإعادة منحهم ألقابا جديدة تكون أحينا قبيحة ومعيبة إلا مظهرا من مظاهر هذا الفصل بين الجزائري ومنابعه العربية.

لا شك أن هذه الهجمة الشرسة على الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري، هي التي دفعت النخبة الجزائرية، من علماء وأدباء ومثقفين إلى التخندق في صف واحد للدفاع عن هوية مجتمعهم، فعملت كل ما في وسعها من أجل إعادة بعث تعليم اللغة العربية، و الدين الإسلامي الصحيح ،مركزة على ضرورة وضع حد فاصل بين الفرنسي والجزائري، لأن الجزائري لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون فرنسيا ولو أراد ذلك،

وذلك ما حرص بن باديس على تأكيده في جريدة المنتقد إذ يذهب إلى" أننا لسنا مع الجامدين في جمودهم ولا مع المتفرنجين في طفرتهم و تنطعهم "10

بالإضافة إلى الإهتمام الكبير بالتعليم العربي والديني على وجه الخصوص، مع التركيز على تنقية الأخلاق من كل ما هو ضار ودخيل على الأخلاق العربية الإسلامية، وقد سخر لذلك كل ما توفر للنخبة المثقفة في تلك الفترة بداية من الصحافة، ووصولا إلى الأدب بكل أشكاله "كما تحتاج الأبدان إلى غداء من المطعوم والمشروب كذلك تحتاج العقول إلى غداء من الأدب الراقي و العلم الصحيح، ولايستقيم سلوك أمة وتنقطع الرذيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينهم، إلا إذا تغدت عقول أبنائها بهذا الغذاء النفيس. .فنحن نقاوم كل معوج من الأخلاق، وفاسد من العادات، ونحارب على الخصوص البدع، التي أدخلت على الدين فأفسدته وعاد وبال ذلك الفساد علينا" 11

تلك هي الظروف التي ظهرت فيها أول روية جزائرية موسومة بغادة أم القرى، للكاتب أحمد رضا حوحو وتلك هي الفلسفة التي استقاها من المنظومة التعليمية والقيمية، التي ربته عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان له الدور الفاعل في دعمها ومساندتها وإدارتها، لقد كان الإيمان السائد في فلسفة هذا الرعيل من علماء الجزائر، أن لا رقي لأمة إلا بأخلاقها، و إن كل أمة تخلت عن أخلاقها إلا ضعفت وتراخت وابتليت بالمكاره، ومن هنا نشأت شدة اهتمامهم بالتوجيه الأخلاقي،في الشعر والمقالة والقصة فقد كان أول مقال كتبه أحمد رضا حوحو "موسوما ب: الطرقية في خدمة الإستعمار، وقد نشر هذا المقال في جريدة الرابطة العربية التي تصدر بمصر، خاصة وقد لاحظ في مسقط رأسه بسيدي عقبة فساد عقائد الناس وأخلاقهم"12

وإذا كان هذا التوجه الأخلاقي في أدب هذه المرحلة مشفوعا بالرغبة في مقاومة أخلاق الآخر المدمرة لهوية الجزائري،فهي كذلك تعود إلى العمق الديني للحركة الإصلاحية خاصة وأن علماء الجمعية هم في الأصل نخبة من علماء الدين والأئمة والدعاة.

1- الرواية الإصلاحية،المصطلح.الموضوعات والبنية الفنية:

هي تلك الرواية التي صدرت عن كتاب ينتمون إلى الحركة الإصلاحية،أومتأثرون بأفكارها أو تتلمذوا على يد علمائها،وكانت تجمعهم رابطة قوية تتمثل في حب اللغة العربية،والدين الإسلامي باعتبارهما أبرز الأسس التي تقوم عليها هوية المجتمع الجزائري،وليس من قبيل الصدفة أن نجد من بينهم أحمد رضا حوحو " الذي ولد سنة 1911في بلدة سيدي عقبة ..وكانت له الكثير من الإسهامات الإصلاحية، خاصة وأنه كان عضوا نشطا بجمعية العلماء المسلمين"13

وهو صاحب رواية غادة أم القرى التي ظهرت للوجود سنة 1947معلنة ميلاد الرواية العربية الجزائرية المعبرة عن قضية المرأة العربية؛ومن ورائها المرأة الجزائرية من قمع وتهميش،دون أن ننسى الشيخ عبد المجيد الشافعي صاحب رواية الطالب المنكوب سنة 1951 ونور الدين بوجدرة صاحب رواية الحريق،لقد تربى هذا الجيل على القيم الإسلامية،وعلى الإعتزاز بالانتماء العربي وعلى تقديس الأخلاق والفضيلة ،وقد

تلقى كل ذلك في أحضان جمعية العلماء المسلمين،فجاءت كتاباتهم عاكسة لتوجهات هذه الجمعية ومترجمة لأفكارها،كان الباحث و الروائي الجزائري واسيني الأعرج؛ أول من وسم هذه الأعمال بمصطلح الرواية الإصلاحية في كتابه الموسوم ب: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،حيث يذهب إلى القول"أن هذه الرواية هي الإبنة الشرعية للفكر الإصلاحي الذي ظهر عند جمعية العلماء..إن الكتابات الإبداعية ذات التعبير العربي قبل الإستقلال وبعده بقليل،ذات نزعات إصلاحية ..وهذا راجع لسبب واحد ورئيسي ..وهو أن الحركة الإصلاحية التي تزعمتها جمعية العلماء المسلمين،كانت تتحكم في عصب وسائل الإعلام الناطقة بالعربية"14

ورغم أن هذا الحكم يحتاج إلى مراجعة خاصة في شقه الأخير،إلا أن ما يهمنا هنا هو تسمية هذه الرواية بالرواية الإصلاحية جاء نسبة إلى المدرسة الفكرية التي صدرت عنها هذه الرواية،وعبرت عن وجهة نظرها في معالجة قضايا الأمة وقضايا الإنسان الجزائري الذي عانى الأمرين من سياسة،القمع والمسخ والتجهيل والمسخ والسلخ عن قيمه ودينه،لكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن جمعية العلماء كانت تمارس الإكراه على الكتاب ليتجهوا هذا التوجه أو ذاك "لقد حشدت المنتقد ثم البصائر في سلسلتها الأولى كل الأقلام الوطنية الأسيرة فأطلقتها لتعبر عن مختلف النزعات الاجتماعية والسياسية و الفكرية،وتبعا لنزعة التحرر تخلص النثر من أكثر المحتويات القديمة ونبذ الطلاء ليعبر عن الحقائق في أسلوب واضح سريع الحركة قصير الفاصلة مباشر المعنى"15

1.1- موضوعات الرواية الإصلاحية :

إن اللافت للنظر في الرواية الإصلاحية هو تركيزها على القضايا الاجتماعية،وخاصة تلك المرتبطة بعنصري الأسرة،أي علاقة الرجل بالمرأة في ظل الأعراف والقيم السائدة في المجتمع،فذلك كان موضوع رواية غادة أم القرى وموضوع رواية الطالب المنكوب،لكن هذا الموضوع،يتخذ مطية لتمرير الكثير من الرسائل الإصلاحية ذات البعد الأخلاقي،من مثل محاربة الظلم،وكف يد القوي عن الفقير،والدعوة إلى خلق التواضع والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد مع التقيد بما تفرضه القيم العربية الإسلامية،من أخلاق وشرائع،وكثيرا ما تنتصر للقيم الأخلاقية السامية كنوع من التوجيه والتنوير الاجتماعي،وهذا ما ينسجم مع الطرح الأخلاقي للجمعية العلماء وفي عملية إعادة بعث الهوية الضائعة،والتي انتهجت فيها سياسة مهادنة متفادية للصدام سواء كان مع القوة السياسية المهيمنة أو مع الفرد الذي تهدف إلى إصلاحه،وقد اعتمدت هذه الرواية في بنيتها الفنية على التنميط الأخلاقي للشخصيات فكانت الشخصية الروائية تجسد قيمة أخلاقية تصارع قيمة أخلاقية أخرى،لذلك هيمن النمط الأخلاقي على شخصيات الروايات الإصلاحية،فكل من زكية وجميل صادق في رواية غادة أم القرى.16 يمثلان نموذجا للشخصية الطيبة صاحبة القيم،وصاحبة الأخلاق الحميدة الرافضة لهيمنة الطمع والتكبر والتجبر وشراء الدمم،وفي مقابل هذا النموذج يظهر نموذج الشخصية الشريرة العابثة التي تستهين بكرامة الآخر وتحاول النيل منه بأي طريقة كانت ويلاحظ القارىء أن شخصية رؤوف وشخصية الشيخ أسعد خير من يمثل هذا النموذج في الرواية،ورغم النهاية غير

المتوقعة للرواية بموت البطلين الخيرين،إلا أن القيم الخير هي التي انتصرت في النهاية،بعد أن أدرك المجتمع في النهاية براءتهما.

هذا النموذج الطيب الخير يتجسد في رواية الطالب المنكوب..17..، من خلال شخصية الطالب عبد اللطيف الذي يضحي بحياته من أجل من يحب،وهذا الموقف جعل من العائلة الثرية تعدل من رؤيتها لطبقات المجتمع،وتحد من تكبرها ورفضها للطبقة الفقيرة..

إن هذه النمذجة تنسجم تمام الانسجام مع فكرة التوجه الإصلاحي،الذي يجعل يقسم المجتمع إلى صنفين مختلفين صنف خير وصنف يمتاز بأخلاقه الوضيعة،والهدف والغاية المرجوة هو هداية الصنف الثاني للأخلاق الحميدة التي تقتضيها القيم الإسلامية،لذلك أول ما تحرص عليه الرواية الإصلاحية في تصوير الشخصية ورسم معالمها هو الغوص في نواياها و تبيان سوء أخلاقها أو صلاحها،وذلك بما تأتيه من أفعال وأقوال تكون القيم الإسلامية، والعرف العربي هو المرجع الأساس، في الحكم لهذه الشخصية أو عليها، وكأن هذه الأعمال الروائية تجسيد لأفكار الجمعية الإصلاحية،"إنها تعيد طرح السؤال الأبدي المؤرق ..سؤال قديم جديد ..كيف نشفي هذا المجتمع"18

إن هذا التوجه الخير جعل من الروح الرومانسي تسري في هذه الأعمال الروائية،حيث ينهزم البطل وينكص على عقبيه، ويسلم أمره لقوى أخرى لتحكم له أو عليه سواء كانت قوة غيبية قاهرة،أو قوة ذات سلطة مادية،ولعل هذا يرجع إلى طبيعة الشخصية الإصلاحية التي نراها مجردة من وسائل المواجهة التي تضمن له النصر،فهي شخصية مسالمة،واضحة رافضة للمناورة والمساومة،تسير في خط مستقيم لاتحيد عنه رغم ما تلاقيه من وهاد وتلال وحواجز ومطبات إنها " تعبير عن عن الأزمة الحادة بين الفرد – المختلف والمتفرد- وبين المجتمع"19...كما يرى غالي شكري في طبيعة التوجه الرومانتيكي بصفة عامة.

هذا يقود بالضرورة إلى التأكيد على السمة المهادنة للخطاب الروائي الإصلاحي،وهو خطاب لا يسعى إلى قلب قيم المجتمع قلبا جدريا،بقدر ما يهدف إلى تقويم الخلل الطاريء على قيمه،دون البحث في الأسس الفكرية والاجتماعية والتاريخية لهذا الخلل،و ذلك يعود إلى الطمأنينة التي يجدها الكاتب في الموروث الديني الذي يرى فيه الكاتب حلولا لكل معضلات الحياة،ومنه جاءت فكرة المصالحة بين الطبقات عوض التصادم والصراع،وهذا ليس بمستغرب من مبدع تربى على تقديس النص القرآني و الحديث النبوي الشريف والتي تؤكد على التآخي والتآزر من مثل قوله سبحانه وتعالى "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"20

فالإصلاح يحمل في طياته عملية تقريب وتوفيق بين طبقات المجتمع،حتى لاتبغي إحداها على الأخرى وحتى لايحقد الفقير على الغني،فلا يكون الأمر بالثورة والعنف والنهب وقلب نظام المجتمع وكسر قيمه وإنما يكون بإصلاح ما اعوج من قيم المجتمع فإذا كان جميل صادق في رواية غادة أم القرى قد ظلم من رؤوف صاحب النفود والثروة والسطوة،فإن عدالة الأمير من شأنها أن تعيد الأمور إلى نصابها،وفوق هذه العدالة عدالة الله سبحانه وتعالى التي لا تحابي ولا تميز بين غني وفقير،لذلك تسجل لنا رواية غادة أم القرى اطمئنان الأم لهذه

العدالة "إلى من تلتجيء؟؟..تتساءل المرأة الأم المفجوعة بالظلم المسلط على فلذة كبدها ووحيدها ويجيبها صوت الإيمان..الله التجئي إلى الله"21 ..وهذا لا يعدو أن يكون ترجمة لروح الإيمان التي تسكن الفكر الإصلاحي وتسكن الكتابة الإصلاحية،شعرا وقصة ورواية،فالبعد الديني والإيماني يعد من المرتكزات الأساسية للكتابة الإصلاحية،لأنها تهدف أولا وأخيرا، إلى تثبيت القيم الدينية عند المتلقي وتعميقها فيه.

1.2- جماليات الرواية الإصلاحية:

من الناحية الفنية تبدو الرواية الإصلاحية مخلصة للنص السردي التراثي متناصة معه تناص اجترار،حيث يشكل هذا النص الزاد المعرفي والفني الذي تربى عليه كتاب هذه الرواية،وفي مقدمة النصوص التي تأثر بها هؤلاء،كتاب ألف ليلة وليلة،وكتب المقامات،بالاضافة إلى القصص الشعبي العربي،ويبدو ذلك في اللغة المستعملة والتي تظهر فيها المسحة القديمة بدلالاتها ومعانيها وبنيتها،كما تظهر في طريقة رسم الشخصيات والفضاء ووعي الشخصيات وسير الأحداث" لم يكن بإمكان الرؤية التقليدية،إلا أن تخلق شكلا أو رؤية جمالية تقليدية،فقد أفرغت كل المشاكل المعالجة أدبيا ضمن قالب شكلي قديم"22

وبذلك تكون هذه الرواية استجابة واعية لظروف تاريخية،وحضارية وسياسية،في موضوعاتها وفي جمالياتها وتعبيرا عن وعي سائد في فترة هامة من فترات التاريخ الجزائري، التي عرفت بمقاومة هيمنة الآخر ثقافيا ودينيا ولغويا وحضاريا،فقد أكدت على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري،كما أكدت على قداسة القيم الإسلامية وعملت على تعميقها والدعوة إليها،ومكنت اللغة العربية من دخول عالم الرواية في الجزائر،رغم تراثيتها فخدمتها ومنحت لها فرصة التطور والرقي.

2- مرحلة الرواية الواقعية:

لا شك أن مرحلة السبعينات كانت أكثر الفترات التاريخية الجزائرية حركية و تحولا،لما شهدته من مشاريع وسمت بالمشاريع الثورية، وكانت تهدف إلى تنقية المجتمع من المخلفات المدمرة للمجتمع التي خلفها المستعمر، من أبرزها التخلف العام للمجتمع الجزائري،في كل المجالات فالريف يرزح تحت طائلة الفقر والجهل و التهميش وهيمنة طبقة مستغلة هي مزيج من العملاء القدماء للاستعمار، و الإقطاعيين الجدد الذين استطاعوا السطو على أراضي شاسعة بعد أن تركها المستعمر، وهذا أنتج واقعا مزريا تضاربت فيه المصالح وتداخلت بين أغلبية فقيرة وأقلية مستأثرة بكل خيرات البلاد، أما المدينة فهي لا تقل سوء عن حالة الريف فالفقر والبطالة و الجهل والأمية ضاربة بأطنابها في المجتمع إنها حالة مجتمع يخرج من هيمنة مستعمر غاشم، بعد حرب ضروس دامت سبع سنوات عجاف عرف فيها الشعب الجزائري كل أنواع القمع والقهر، للخروج من هذا الواقع اجهت الجزائر وجهة اجتماعية خاصة كانت أبرز معالمها اتخاذ الإشتراكية منهجا لتسيير الحياة العامة للبلاد والعباد "وكأي ظاهرة اجتماعية، لم تنبع الواقعية الإشتراكية من الفراغ فهناك ظروف اقتصادية وثقافية وتاريخية تعقدت فيما بينها لتفرز لنا أسلوب ومنهج الواقعية الإشتراكية ولخلق جيل كامل حمل مشعلها "23

إن القول أن الكتابة الواقعية هي نتيجة وعي فلسفي وقناعة إيديولوجية، عند الكاتب الجزائري فيه شيء من الحق لكنه ليس كل الحقيقة فبين الالتزام والإلزام وركوب الموجة والتيار السائد هيمن التيار الواقعي المؤذلج في الكتابة الروائية الجزائرية، وعموما إن الواقعية بمعناها الشمولي ..هي التعبير الواقعي عن الأفكار، وهي بذلك تعد النقيض لما هو مثالي"24

ولذلك فإن كتاب الرواية في الجزائر، كانوا واقعيين بطريقة أو بأخرى حتى في مرحلة الرواية الإصلاحية، لكن الجديد في واقعية السبعينات هو تلك المفاهيم التي ظهرت مرافقة للكتابة الأدبية بصفة عامة مثل الالتزام والنضال ومساندة الطبقة الكادحة، وكلها مفاهيم سياسية تسربت إلى الكتابة الأدبية، من منظور "أن لا وجود لأدب حيادي في المجتمع الإشتراكي"،وقد ألح نقاد تلك المرحلة على ضرورة تجنيد الأدباء والكتاب لخدمة الهدف السياسي، من ذلك ماذهب إليه محمد مصايف" ومهما يكن من أمر فإن بلادنا في أمس الحاجة إلى مجهودات وإخلاص جميع أبنائها، وبخاصة إلى مجهودات هؤلاء الذين يتمتعون بثقافة واسعة ويملكون وعيا حادا بالقضايا الوطنية، وإحساسا عميقا بحاجيات الوطن والمواطنين، وليس بمعقول مطلقا أن يظل هؤلاء الأدباء بمعزل عما يعتمل في بلادهم من ثورات"25

وانطلاقا من هذا نلاحظ أن بداية الرواية الواقعية في الجزائر، كانت حين التف الكتاب حول المشاريع السياسية والاجتماعية، للسلطة الحاكمة وتبشيرهم بها وبآثارها الجيدة على المجتمع، لكي يأخذ مساره نحو التطور والازدهار والرقي، ولعل الثرورات الثلاث التي أعلن عنها النظام السياسي في تلك الفترة ممثلة في الثورة الصناعية والثقافية والزراعية، كانت أهم المشاريع التي ألهمت الكتاب وأخذت بأقلامهم نحو الوجهة الواقعية الملتزمة، لقد كانت أو رواية اخذ هذا البعد الفني ولها من النضج والكفاءة الفنية، كانت رواية ريح الجنوب للكاتب عبد الحميد بين هدوقة وظهرت سنة . 1971،وهي بإجماع النقاد بداية المرحلة الواقعية في الرواية الجزائرية " ريح الجنوب .1971 .لعبد الحميد بن هدوقة هي أول رواية -تنحو نحوا واقعيا-بالعربية في الجزائر، يدور موضوعها حول تصوير العلاقات الاجتماعية، في ضوء مؤسسة الزواج القسري وحول صورة الريف الجزائري بعد الاستقلال"26

كانت إذا الانطلاقة مع رواية ريح الجنوب، لتحقق بعد ذلك الرواية الجزائرية تراكما هائلا في هذا الاتجاه، فكانت روايات بن هدوقة، نهاية الأمس وبان الصبح والجازية والدراويش، وغدا يوم جديد، وكانت روايات الطاهر وطار، اللاز والزلزال وعرس بغل والعشق والموت في الزمن الحراشي، بالإضافة إلى كتابات الرعيل المؤسس للكتابة الواقعية في الجزائر،أمثال رشيد بوجدرة وواسني الأعرج، ومرزاق بقطاش، وعبد الملك مرتاض.

وكل هذه الأعمال الروائية عملت على تشريح الواقع الجزائري، معبرة عن أمل هذا المجتمع لتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحقيق الازدهار الاقتصادي والحضاري، في ظل القيم الثورية التي تدعوا إلى مساندة الشعوب المقموعة لتقرير مصيرها، وفي ظل حركية اجتماعية تعلي من شأن العمل والكدح.

1.2-موضوعات الرواية الواقعية في الجزائر:

تجدر الإشارة إلى أن هذا التوجه قد أحدث القطيعة مع التوجه الإصلاحي في الرؤية والأفكار والجماليات، و حتى في قراءة الحدث التاريخي، ذلك أن الرواية الواقعية وهي متأثرة بالجدلية التاريخية المادية، لا ترى في صراع الإنسان ضد أعداءه إلا صراعا ماديا أساسه صراع الطبقات من أجل الهيمنة وفرض القيم وبلوغ السلطة، وبذلك لا مجال للحديث عن المقدس والأخلاقي والديني في مثل هذه الرواية " وأسلوب هذه الرواية في إطار هذه الرؤية الواقعية الجديدة يعتمد على المفارقة الحادة والسخرية الشديدة، في تصوير البسطاء الذين يعيشون في القرى والأحياء الشعبية، التي تمثل قاع المجتمع ويعيش فيها أفراد هامشيون، من الفلاحين والعمال وصغار الموظفين واللصوص والعاهرات وتجار المخدرات ومدمنيها، وهم يمارسون لعبة الحياة من أجل تحقيق أحلامهم الصغيرة، ورغباتهم الغريزية دون كبير حرص على التمسك بالقيم أو الخوف من القانون"27

لذلك استبدلت هذه الرواية النموذج الأخلاقي بالنموذج الإجتماعي، لتجسد الصراع وتضارب المصالح و تصور أحلام كل طبقة وما تطمح إلى تحقيقه في نضالاتها المستمرة، ولعل ريح الجنوب للكاتب عبد الحميد بن هدوقة خير من جسدت هذه النمذجة حين، قسمت المجتمع بين رجل الإقطاع وعائلته، وبين الطبقة الكادحة الراغبة في الإنعتاق من سيطرة الإقطاعيين، وبين الطبقة المثقفة الراغبة في توعية المجتمع والنهوض به من تخلفه وقد حاول الكاتب، رسم هذه النماذج من خلال شخصيات الرواية، تموقعهم الاجتماعي،"فعابد بن القاضي الرجل الإقطاعي المهيمن على القرية وأهلها لا يتوانى عن فعل أي شيء فقط للحفاظ على مصالحه الخاصة ومصالح عائلته،و لا بأس أن يضحي ببعض العائلة من أجل ما يمتلكه من أملاك"28

كما استبدلت بعض الروايات المنموذج الأخلاقي بالنموذج الأيديولوجي، حيث يتحول الصراع بين الشخصيات إلى صراع بين إيديولوجيات مختلفة، حتى ليحس القاريء أنه أما م مرافعات فلسفية وعقدية تحاول كل شخصية أن تدافع عن رؤيتها الإيديولوجية لشتى الطرق، قد تبلغ درجة العنف والمواجهة المسلحة وقد حاول الطاهر وطار في "روايته اللاز، وروايته العشق والموت في الزمن الحراشي تجسيد هذا الصراع،مع البحث عن جدوره التاريخية منذ زمن الحركة الوطنية وأيام حرب التحرير"29

إن النموذج الإيديولجي هو في الرواية الجزائرية، يعكس ذلك الإيمان الكامن في نفس الكاتب بضرورة الإنتصار لما هو إنساني وعادل، لذلك تتجه الروايات الواقعية الإشتراكية للإنتصار "للبطل الإشتراكي المكافح من أجل العدل والتنوير والتطور والمساواة بين الجميع."30

كذلك كان الأمر مع اللاز البطل الثوري المقموع من القوى المضادة والرجعية حسب تعبير الرواية، حيث انتصر في النهاية وأنقد جميلة من التشويه، وفي ذلك إشارة إلى أن البطل الثوري صاحب التصور اليساري يمثل المنقد الحقيقي للمجتمع في نظر كتاب الرواية الواقعية الجزائرية والعربية بصفة عامة، لذلك يعتقد المثقف المؤدلج " أنه يمثل الطليعة القائدة في تطوير بلدانهم، بما يمتلكون من نموذج حضاري " 31

لكن في الكثير من الأحيان يتحول هذا البطل إلى بطل إشكالي مأزوم بقيمه النيرة، في ظل مجتمع ينهار و يتآكل فيلخص بذلك الرجل الباحث عن رقي مجتمعه، والذي يصدم بالكثير من العقبات والمعوقات.

وإذا حاولنا أن تجمل أهم الموضوعات التي تناولتها الرواية الواقعية الجزائرية، فإننا نقف عل جملة من الموضوعات المهيمنة والمتكررة، في هذه الرواية حتى باتت هذه الموضوعات مستهلكة ومجترة، وتكاد الروايات تعيد صياغة نفس الأحداث بطرق مختلفة نوعا ما.

1-الموضوع السياسي:

رغم أن الرواية الواقعية في مرحلة السبعينات حاولت أن تكون رواية إنسانية، أي أنها راهنت على القيم الإنسانية العامة التي تؤسس لمجتمع عادل خال من الاستغلال والاستعباد،في ظل العدالة الاجتماعية التي بشرت بها دولة الإستقلال والحرية، إلا أنها في النهاية ارتهنت لما هو سياسي وشعاراتي، فتحولت إلى أداة لترويج مشاريع السلطة، الهتاف باسم مشاريعها دون التأكد من نتائجها ونوايها حتى،إ ن هتافات الطلبة في رواية العشق والموت في الزمن الحراشي بحياة الإشتراكية و الثورة الزراعية، و ترديد عبارات التأييد للرئيس بومدين في كل مرة يدل على ذلك الارتهان للسياسي قبل الأدبي، كما أن النزعة التبريرية التي نجدها في بعض الروايات لأخطاء السياسة، تدل على ذلك الارتهان، وخير دليل ما نجده في رواية نهاية الأمس للكاتب عبد الحميد بن هدوقة التي تشيد بالحكم العسكر وتعتبر ذلك" قدر الشعوب الجاهلة. "وهذا مايذهب إليه إدريس بوذيبة في كتابه الموسوم بك الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار "وعلى الرغم من سيطرة الطابع السياسوي على النصوص الروائية التي ظهرت في السبعينيات، فإنها لا تخلو من طرح جدري يقوم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة ويعود هذا إلى أن الكثير من الروائيين كانوا مناضلين،أو مروا بتجربة السجن و التشرد أثناء الثورة"32

لقد مجدت هذه الأعمال الروائية مشاريع السلطة وتغنت بها،وبشرت المجتمع بحياة سعيدة في ظل الخيار الإشتراكي،يسودها الرخاء والعدل والأمن والإزدهار،وصورت كل معارض لهذا الطرح بصورة العدو والرجعي المخرب الذي يسعى لخيانة وطنه،إنها رواية متحمسة لبناء دولة وطنية بعد أن شهد جيل هذه الرواية ويلات المستعمر وويلات الحرب،إنها رواية تستجيب لواقع اجنماعي وثقافي خاص في فترة خاصة ذلك أن "الكاتب يتفاعل مع محيطه الاجتماعي الذي يعيش فيه لذلك فحضور البنية الاجتماعية وارد في النص"33

وانطلاقا من هذا التوجه نلاحظ طغيان معجم محمل بحمولات إيديولجية وسياسية تعبر عن المرحلة السياسية في زمن السبعينيات، فتكثر المفرات ذات الصلة مثل الديمقراطية و الإشتراكية، وحقوق العمال والنضال والكدح والبورجوازية و الإمبريالية، والرفاق والحزب واللجنة.. إلخ وكلها من السطلحات السياسية المتداولة سياسيا وحزبيا في هذه المرحلة.

2-الموضوع الاجتماعي:

لا نجانب الصواب إذا قلنا أن الرواية السبعينية رواية اجتماعية بامتياز، فلم تغادر موضوعا يتصل بحياة الفرد والمجتمع الجزائري إلا وطرقته، في إطار رؤية فلسفية وإيديولوجية واضحة المعالم، فمن موضوع المرأة والأرض و الطبقة الكادحة في رواية، ريح الجنوب، إلى موضوع محاربة الجهل والتخلف والحزازات القديمة في رواية نهاية الأمس، ومن محاربة الإقطاع واحتكاره لخيرات البلاد في رواية الزلزال إلى تفكيك العلاقات الاجتماعية الجائرة في التفكك والرعن والمرث لرشيد بوجدرة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرواية كانت دائما تقف في صف الطبقات المسحوقة معبرة عن آمالها وأحلامها " فعبرت أكثر من غيرها عن حاجات الشعب الجزائري- المادية - وتوغلت في فضاءاته الاجتماعية الأكثر عمقا واتساعا"34

لكن رؤيتها التغريبية والمادية المعادية للأبعاد الروحية والدينية للمجتمع، جعلتها تسير في خط مواز لحركة المجتمع، بل إن الكثير من الفعاليات والمؤسسات الاجتماعية ناصبتها العداء، ومارست ضدها حملات انكار بلغت حد مقت الناس لهذا الكاتب أو ذاك، لما في رواياته من جرأة على المقدسات وقيم المجتمع الروحية مثل الكاتب رشيد بوجدرة الذي يتحاشى الجميع قراءة أعماله ودراستها حتى في الوسط الأكاديمي، وتجدر الإشارة أن ضمن هذا الموضوع العام نوقشت الكثر من القضايا مثل قضية المرأة، وقضية الدين والحريات والأخلاق، والتربية والتعليم والعمل والعمال والزواج والعادات والتقاليد، والعلاقات الاجتماعية بمختلف تمظهراتها، فإذا نظرنا إلى موضوع المرأة على سبيل المثال فإننا نرى أن الرواية السبعينية، قد قوضت الرؤية الإصلاحية التي رأت فيها تطرفا في الحجب و التضيق، لكنه أنتجت فنيا نموذجا جديد لامرأة جزائرية لا وجود لها إلا في مخيلة الكاتب،ف ي امرأة متحررة مبتذلة طائشة تشرب الخمر وتزني وتتعالى على أرتها وتهين كل ما يمت للأسرة بصلة، وما دليلة بطلة رواية بان الصبح لعبد الحميد بن هدوقة إلا دليل على ذلك، فعالجت بذلك ما رأته تطرفا بتطرف أشنع منه.

3-الموضوع التاريخي:

لا نجانب الصواب إذا قلنا أن الرواية الجزائرية، منذ ميلادها الأول، سواء في نصها المكتوب باللغة الفرنسية، أو في نصها المكتوب باللغة العربية، قد كانت شديدة الارتباط بالتاريخ، وحين نقول التاريخ فإننا نعني بذلك محاولاتها تسجيل حوادث التاريخ تمثل (ثلاثية محمد ديب) برؤية نقدية لاذعة، أو مستدعية للتاريخ وقارئة الواقع على ضوئه، على اختلافات هذا التاريخ بين حديث وقديم ومعاصر.

ولنا في روايات الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة خير مثال، مثل اللاز والزلزال وعرس بغل، ومثل ريح الجنوب ونهاية الأمس وبان الصبح والجازية والدراويش وغدا يوم جديد، كما نلمح هذا التوجه في الرواية الجزائرية المعاصرة مثل ما هو حاصل في روايات أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد/فوضى الحواس/وعابر سرير، ويعود هذا الارتباط الوثيق بين الرواية والتاريخ في الجزائر إلى خصوصية التحديات التي عالجتها هذه الرواية حيث واجهت "واقعا شرسا، كانت فيه البداية من الصفر ولم يكن الأمر بالبساطة التي يمكن أن نتصورها، وكان لابد من عملية فرز على أسس وطنية"35

وذلك على مستوى سياسي، وعلى مستوى ثقافي واجتماعي وعقدي، بل على كل المستويات والمجالات وكان لابد ضمن هذه الظروف "أن ينشأ وضع ثقافي يحاول استثمار الرصيد الثوري الجاد والمشرق... مستغلا الحقبة التاريخية، ومجترا للماضي في كثير من الأحيان"36

ويصدق القول على الرواية الجزائرية في بداية السبعينات حيث نظرت إلى التاريخ وخاصة تاريخ الثورة، ثم تاريخ الحقبة الزمنية التي كتب فيها النص الروائي، نظرة تقديسية والقارئ لروايات هذه الحقبة سيلمح ذلك الجدل الواسع بين الواقعي والتاريخي، فأغلب القضايا التي عالجتها الرواية في تلك الفترة إنما عولجت على ضوء ما هو تاريخي، وخاصة تاريخ الثورة، وفي خضم الحماس الكبير و الرغبة في إعادة صياغة الوعي الاجتماعي بالتاريخ وبالهوية، في ضوء الفكرة الإيديولوجية، كانت نظرة الرواية السبعينية تحاول جادة البحث في التاريخ الجزائري عما يمكن أن يوحي للقاريء بأن كل ما يمثل تاريخا مشرقا في الجزائر إنما مرده إلى الوعي الإيديولوجي أولا وآخرا، فاللاز على سبيل المثال وهو بطل رواية الطاهر وطار والذي أراده أن يكون رمزا للشعب الجزائري في مسيرة كفاحه ضد المحتل، "لم يبلغ درجة الوعي ولم يخرج من حالة الجهالة والطيش والعبث إلا بعد أن صار شيوعيا"37

2-2-جماليات الخطاب الروائي الواقعي:

قد لا نجانب الصواب إذا قلنا إن سمة القطيعة مع الخطاب الروائي الإصلاحي، كانت مهيمنة على خطاب الرواية الواقعية السبعينية في الجزائر، شكلا ومضمونا ورؤية، لذلك نجد هذه الرواية قد نأت بجانبها عن جماليات الرواية الإصلاحية ممارسة نوعا من التجديد و التجريب، بما يتلاءم مع روح المرحلة وطبيعة التحديات، فعمدت إلى :

- الإيهام بواقعية القصة والحدث وإخضاع كل ذلك لمقتضيات المنطق والواقع، فلا خرافة ولا صدف ولا عجائبية ولا خوارق.

- رسم الشخصيات رسما واقعيا، حيث يراعي الكاتب المكانة الاجتماعية، والفكرية لشخصياته وتسخير ذلك لخدمة سير الحدث وتطوره، فلا تنطق الشخصية إلا بما يقتضيه مستواها الفكري في النص.

- هيمن الراوي العليم على مجريات السرد، وذلك يعود بالأساس إلى البعد التلقيني لهذه الرواية، فالكاتب ينظر إلى عمله الروائي على أنه رسالة تربوية تعليمية تلقينة توجيهية للمجتمع، فهي تصدر من ذات عالمة تمثل الراوي العليم إلى متلقي بغية التأثير فيه وإعادة توجيه سلوكه، وقد أشار محمد مصايف إلى ذلك في سياق تحليلة لنص ريح الجنوب، مؤكدا على مبالغة الكاتب في تقمص دور المعلم "لقد سمح الكاتب لنفسه أن يكون حكما أو مدرسا يحاضر.."38

-احترام خطية الزمن في الغالب، مع الحرص في بعض الأعمال الروائية على الزمن الماضي من خلال تقنية الاسترجاع، خاصة تلك التي تعيد مناقشة قضايا التاريخ وأحداثه.

3-تحولات الخطاب الروائي الجزائري ما بعد المرحلة الواقعية:

بدأت الرواية الجزائرية تتجه نحو التجديد مع نهاية الثمانيات، فقد جدت الكثير من الحوادث على الساحة الاجتماعية والسياسية كانت شديدة التأثير على حياة الجزائري وعلى يومياته، بداية من الأزمة الإقتصادية التي ضربت بأطنابها في البلاد حتى صارت الطوابير الطويلة هي السمة البارزة في الشارع الجزائري ،من أجل الخبز والحليب والزيت والصابون ..إلخ ،ذلك أن شح الموارد المالية أدى إلى العجز عن توفير الضروريات للجميع ،فكان ذلك بداية لتململ اجتماعي ،بدأت معالمه تظهر في إضراب العمال والمعلمين واحتجاجات الناس هنا وهناك ،لقد كان لهذه الهزات الاجتماعية أثرا بالغا على الحياة السياسية حيث بدأت الأفكار المعارضة تظهر للعلن معلنة عن رغبتها فبي المشاركة الفعلية في الحياة السياسية ولعل ظهور التيارات السياسية المختلفة ،كالتيار اليساري والتيار الإسلامي والتيار اللبرالي ،كانت بداياته من زمن الثمانيات ،كنوع من النزعة الاحتجاجية على تقهقر الوضع الاقتصادي والاجتماعي ،وقد رافق ذلك تراجع كبير عن المشروع الإشتراكي الذي تغنت به الرواية الجزائرية لفترة من الزمن ،خاصة بعد الهزات العنيفة التي عرفها المعسكر الشرقي ،من انهيار لجدار برلين وانهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه إلى دويلات صغيرة متناحرة ومختلفة الولاءات والإيديولوجيات ،في مثل هذا الوضع بدأ كتاب الرواية يستشعرون ضرورة التحول من تلك الكتابات المقولبة والجاهزة، المبشرة والمساندة والمنافحة عن توجه فكري واضح المعالم إلى كتابة قلقة تطرح الأسئلة المحيرة ،والمصيرية حول مآلات المجتمع الجزائري وعوامل فشل التجربة الإشتراكية رغم ما حضيت به من مساندة وترويج منقطع النظير من السلطة والنخبة المثقفة ،كان الكاتب عبد الحميد بن هدوقة في هذه الفترة قد ألف روايته الجازية والدراويش والتي تعد بحق نقطة تحول في الخطاب الروائي عنده ،وفي الرواية الجزائرية عموما"إذ اختلطت مشاريع تطور مختلفة ومتعددة، فكان الشكل الروائي في الجازية والدراويش هو الأنسب لمعالجة هذا الواقع روائيا"39

لقد تخلت هذه الرواية عن البطل الثوري، الذي ملأ صفحات الروايات الواقعية ضجيجا وصياحا واستأثر بالحصة الكبرى لاهتمام الكتاب والروائيين والنقاد ،وقد أعلنت رواية الجازية والدراويش موت هذا البطل الثوري مؤكدة نهاية زمن البطولة المطلقة وبداية التعدد و التنافس من أجل تحقيق الأهداف و التمكين للأفكار ،فرغم القوة والهيمنة التي ميزت الشخصية الثورية ممثلة في "الطالب الأحمر صاحب الحلم الأحمر إلا أن نهايتها كانت مأساوية "الأحمر هو اسمي الحقيقي هو لوني هو لون أحلامي"40

يتفاجأ القاريء للرواية بهذا البطل مدرجا بدمائه وقد ابتلعته الهاوية ،ولعبت به دسائس ومؤامرات خصومه "مات الطالب الأحمر –الدرويش- دفعه مجهول أو سقط على صخرة"41

لقد كانت تلك أولى علامات التحول في الخطاب الروائي الجزائري الثمانيني ،وقد جاء هذا التحول استجابة واعية لتحولات سياسية واجتماعية وثقافية ،كانت تنبيء بمستقبل مضبب المعالم مجهول السمات منفتح على اتجاهات تطور مختلفة ،فبين الطيب بن لخضر الجبايلي وثقافته الزيتونية وشخصية الأحمر صاحب الثقافة الماركسية وبين الشامبيط وابنه الرأسمالي القادم من أمريكا تنفتح الرواية على صراع إيديولوجي شديد الشراسة ،وما هو إلا صراع تيارات سياسية وفكرية بدأت تظهر على الساحة الوطنية منذ بدأ الحديث عن بداية مرحلة جديدة، لا أثر لشعارات المرحلة السبعينية فيها ،هي مرحلة الإنفتاح على التعدد

السياسي لذلك نجد أن رواية الثمانينات تظهر أكثر حوارية من سابقتها في السبعينيات ،لقد اعتمدت النموذج الإديولوجي وصارت الشخصية تختصر حمولات إديولوجية تصارع من خلالها بقية الشخصيات دون أن تكون الأفضلية لطرف على آخر مما جعل زاوية الرؤية في هذا النوع من الرواية تساوي بين الشخصية وراوي الحدث، ولعل هذا هو الملمح الثاني من ملامح التحول في الرواية الثمانينية ففي رواية الجازية والدراويش تحاول كل شخصية تقديم نفسها للمتلقي من خلال ضمير الأنا الراوي الشخصية ،وتقدم رؤيتها وفكرها وثقافتها ومخططاتها ،وحاولت الرواية الثمانينية تجاوز البنية الفنية للرواية الواقعية الصارمة فتوجت في بعض الأعمال وجهة رمزية مثل رواية الجازية والدراويش.

ويمكن اعتبار رواية الثمانينات رواية المرحلة الإنتقالية من صرامة الواقعية إلى رحابة التجريب والتجديد،والذي ستتعمق مجالاته في الرواية التسعينية ومابعدها ليؤسس لمرحلة جديدة من مراحل تطور النص الروائي الجزائري المعاصر.

3-1- موضوعات رواية الثمانينات:

يمكن حصر الموضوعات التي تناولتها رواية الثمانينات في:

1- رثاء البطل الثوري و التنديد بالتراجع الواضح عن المشاريع الثورية

2- تصوير الصراع الإيديولوجي المحتدم بين التيارات السياسية والفكرية الجزائرية محذرة من مغبة الإنسياق وراء الأحقاد والضغائن.

3- رصد الأفكار الجديدة التي دخلت المجتمع وبدأت تغير من حياة الجزائريين الاتجاه نحو الإنتهازية والوصولية وإنكار القيم والتنكر للتاريخ والرموز.

4- المرحلة التسعينية أو مرحلة التجديد في النص الروائي:

ما يمكن تسجليه للرواية الجزائرية بامتياز هو قدرتها على مواكبة الحدث الوطني وقدرتها على تكييف خطابها مع المستجدات في الواقع، وتغيير وجهة نظرها إزاء الكثير من القضايا وفق تغير التداول الاجتماعي لهذه القضية أو تلك، يصدق هذا حين – نعيد تتبع مسار هذه الرواية منذ ميلادها تحت هيمنة الاتجاه الواقعي المتأثر بالنظرية الماركسية والتي حاولت أن تكرس فكرة الانتماء الإديولوجي، كقيمة عليا، يحكم من خلالها على مختلف النشاطات الاجتماعية والسياسية والثقافية. "حيث يمكن أن نصف الرواية في هذه الفترة بأنها رواية – دعائية عمل أصحابها – على تبنى قرارات السلطة ورؤيتها" 42

ثم جاءت الهزات العنيفة لأحداث الثمانينات وانهيار المشروع الاشتراكي وتراجع السلطة عن خياراتها ومشاريعها، فراحت الرواية تنعي هذا المشروع وتشكك في الكثير من منطلقاته محاولة التشكيك حتى في ارتباط الفكر الاشتراكي بالمجتمع وارتباط المجتمع به.. أو كما عبرت عن ذلك رواية الجازية والدراويش "لكل شيء يا بني عروق تربطه بالأرض، حيث لا عروق، لا شيء سوى الهاوية" 43

لقد شهدت الساحة الأدبية الجزائرية كما هائلا من الأعمال الروائية المختلفة والمتنوعة ،كما عرفت ظهور جيل جديد من الكتاب الشباب الذين دخلوا عالم الكتابة الروائية ،برؤى جديدة مختلفة عن جيل الرواد الأوائل والمؤسسين للرواية العربية الجزائرية ،ولعل مسطلح الأدب الإستعجالي الذي وسم أعمال الشباب إنما جاء ردة فعل من الجيل القديم على كتابات الشباب ،لانحرافهم عن المسار الواقعي للرواية ،ولإهمالهم البعد الإيديولوجي في كتاباتهم، كون هذا الجيل الشاب يكفر بكل الإيديولوجيات ويحاول أن يعطي لنفسه هامشا من الحرية في معالجة القضايا بنوع من الحيادية المطلقة تبلغ أحيانا درجة التسجيلية للحدث اليومي والهامشي والمأساوي، فلم يعد هناك من مشروع اجتماعي يقنع الكتاب الشباب بالتجند حوله والدفاع عنه بالإضافة إلى الأزمة الحادة التي وصلت إليها حالة المجتمع الجزائري؛ بعد التراجع عن الخيار الديمقراطي ورفض نتائجه التي أسفرت عن فوز قوي للتيار السياسي الديني، هذه الأزمة التي اتخذت أبعادا مخيفة بلغت درجة المواجهة المسلحة بين السلطة و أصحاب هذا التيار، ليجد الكاتب نفسة في أتون حرب، والكل يترصده و يريده إلى جانبه وفي صفه وإلا كان مصيرة التصفية الجسدية مثل ما وقع للكاتب مرزاق بقطاش والكثير من المفكرين والمثقفين في تلك المرحلة.

في مثل هذه الأجواء توجهت الرواية الجزائرية إلى ركوب موجة التجديد موضوعاتيا وفنيا مدفوعة إلى ذلك بتغير اهنمامات الكتاب، وتغيرات تقنية كتابة الرواية، خاصة وأن التقنية الواقعية لم تعد قادرة على مسايرة التحولات الاجتماعية وبدأ بريق هذا التيار يخفت شيئا فشيئا، لتحل محلة اتجاهات تطور مختلفة على مستوى كتابة الرواية في الجزائر، وتلك هي الحقيقة الأولى التي نسجلها حول الرواية التسعينية فهي لم تتجه وجهة فنية واحدة عند جميع الكتاب وإنما ذهب كل كاتب إلى وجهة يراها مناسبة له وتعبر عن أفكاره وهمومه الثقافية والسياسية والاجتماعية. ومثلها مثل الرواية العربية " –لا يمكن الحديث عن توجه واضح وموحد نحو التجديد في الرواية الجزائرية- فالرواية الجديدة هي حركة تجمع بين عدد من الروائيين يتفقون على مباديء عامة مشتركة ولكنهم يختلفون ولكنهم يختلفون خارج هذه المباديء العامة 44"

وفي هذا السياق يمكن الحديث ظهور نزعات مختلفة ومتنوعة في الرواية الجزائرية تدخل جميعها ضمن تيار التجديد والتجريب في الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة.

1- النزعة الرمزية: خاصة في الروايات التي تناولت أحداث الحقبة الدموية أو حقبة الأزمة،وهنا نشير إلى رواية غدا يوم جديد للكاتب عبد الحميد بن هدوقة ورواية ذاكرة الجسد للكاتبة أحلام مستغانمي، وهما روايتان اتخذتا من الواقع الجزائري مابعد الخمس من أكتوبر موضوعا لها، لكن في قالب رمزي، ارتدت فيه الجزائر الدولة والجزائر التاريخ والجزائر المستقبل ثوب المرأة، التي عايشت الحدث وتأثرت به وعانت من ويلاته، فكل من مسعودة في رواية غدا يوم جديد، وأحلام/حياة في رواية ذاكرة الجسد، ترمزان للجزائر في حقب تاريخية مختلفة، وهما شخصيتان روائيتان تتشكل رمزيتهما من خلال التماهي مع التاريخ الجزائري، وبالأحداث الأليمة التي عرفتها الجزائر، والأبعد من ذلك التماهي مع جغرافية الوطن/ الجزائر تتحدث

مسعودة عن نفسها قائلة" أستطيع أن أضع رجلي اليمنى على سنوات الثمانينات والتسعينات، فأجد نفسي أمام أحداث أكتوبر.."45

لتؤكد هنا على هذا الإرتباط الوثيق بين الراوية في الرواية، وبين المروي عنه أو موضوع الرواية حتى ليعجز المتلقي عن الفصل بينهما، فالراوية تؤسس لتاريخها الشخصي لكنها في الحقيقة تعيد بناء تاريخ الجزائر من منظورها الخاص، وهو تاريخ الرواية وزمنيتها في الوقت نفسه" إنها رواية تقول حاضرها وماضيها، تريد بناء تاريخها حجرة حجرة، والذي هو تاريخ الرواية.

2-النزعة الشعرية : توجهت الكثير من الأعمال الروائية وجهة شعرية فتخلت عن صرامة اللغة السردية، مستعيضة عنها بلغة هي اقرب إلى لغة الشعر، وقد بدأت هذه الظاهرة في الروائية مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات وكأنها نوع من الهروبية يمارسها الكاتب من واقع مرير لا شيء يغري فيه بالحياة خاصة زمن الأزمة التي ضربت المجتمع الجزائري وجعلته يلج عوالم الظلامية و الموت، ولعل أعمال أحلام مستغانمي هي أكثر الأعمال الروائية ميلا للشعرية المفرطة سواء في التعبير عن القضايا الوطنية أو العالمية،أو في رسم شخصياتها وفضاءاتها الروائية، إنها تجعل من اللغة بطلة للرواية كما أن خالد بن طوبال بطل هذه الرواية، بداية برواية ذاكرة الجسد التي أطلت على مدار الرعب الجزائري في بداياته، فرسمت برشة اللغة هواجل الرجل الوطني وآلامه وأحزانه، ومرورا برواية فوضى الحواس التي زاوجت بين فوضى الوطن الفاقد لذاكرته وفوضى الكتاب الروائية التي باتت تهرب من الواقع إلى فضاءات خيالية تلعب فيها اللغة دور البطولة" تماما كخلطي الآن بين وهم الكتابة والحياة وإصراري على الذهاب إلى الموعد الذي أقنعت نفسي عبثا بأنني لست معنية به وأنه سيتم بين كائنات حبرية، لا يحدث وأن تغادر عالم الورق"46

لقد أمعنت هذه الرواية في اللعب باللغة والاستسلام لسحرها ووهجها حتى قادت أبطالها إلى مصائر لا تقل بؤسا عن مصائر الشخصيات الحقيقية والتاريخية التي كانت مادة للحكي في المتن الروائي وفي مقدمتهم الرئيس الراحل بوضياف، خاصة و أنخطابها منذ الوهلة الأولى يوحي بالغرابة ويشي بالفاجعة" بين مطار وطائرة انجرف به الشوق إليها فلن تصدق أنه استدل على النسيان بالذاكرة ولن تسأله عن أسباب هبوطه الإضطراري فهي تدري ..أن البحر سيسرقه منها وأنه رجل افقلاع حتما"47

وعلى هذا النحو سارت رواية عابر سرير مؤسسة عوالمها على تعدد الدلالة وعلى الغرائبية أحيانا وعلى التلاعب باللغة والفضاءات و الأسماء "كنا مساء اللهفة الأولى عاشقين في ضيافة المطر ..رتبت لهما المصادفة موعدا خارج المدن العربية للخوف."48

ورغم أن هذه الأعمال الروائية كانت أكثر التصاقا بالواقع المحلي وبأزماته،إلا أنها قالته بطريقتها وبلغتها وبأسلوبها،فجاءت مفعمة بالشعرية ومتجاوزة للغة الروائية الصارمة.

4-التوجه التاريخي والتراثي بصفة عامة :وهذا النوع من الروايات راح يستنطق النص التاريخي والأحداث التراثية باحثة عن إجابات لما تعيشه الجزائر في فترة الأزمة، ولعل رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار من

بين هذه الأعمال الروائية التي توجهت وجهة تراثية، ورواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة، مع توجه بعض الكتاب للبحث عن فضاءات جديدة للتعبير بعيدا عن أخبار القتل والتنكيل ولنا في كتابات وسيني الأعرج مثل كتاب الأمير، وفي أعمال عز الدين جلاوجي مثل رواية العشق المقدنس وكذلك روية عز الدين ميهوبي إرهابيس، خير دليل على ذلك.

5-التوجه التسجيلي: وهو توجه ارتهن للحدث اليومي البائس وعايش صدمة المأساة الوطنية، فجاءت هذه الأعمال الروائية مسجلة للأحداث مصورة لبشاعة المجازر ووحشية مرتكبيها وفي روايات حميدة العياشي مثل ليل الفتنة، وبعض أعمال لحبيب السايح رغم خاصية التجريب اللغوي التي يمارسها في رواياته التي نراها أقرب إلى لغة رشيد بوجدرة مثل تمسخت، وحتى أحلام مستغامي رغم شعرية لغتها إلا أنها وقعت في التسجيلية المفرطة في مجمل أعمال ثلاثيتها .

6-التوجه الصوفي: يشكل هذا التوجه نزعة جديدة في الرواية الجزائري، التي بدأت بداية واقعية معرضة عن الجوانب الغيبية ومنتقصة منها في الكثير من الأحيان، ولعل مكمن الغرابة أن نجد كاتبا مثل الطاهر وطار يكتب رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ويكتب رواية الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، ليعبر من خلالهما عن انفصال الذات المبدعة عن الزمان والمكان ليحتويه "الفيف " بحثا عن عالم أقل توحشا وأقل همجية، وفي هذا السياق نجد رواية للكاتب محمد مفلاح والتي وسمها بسفر السالكين، يصور فيها اليأس الذي يصيب الإنسان بعد حياة طويلة يكافح فيها من أجل حاجات الجسد والدنيا غافلا عن حاجات الروح، التي وجدها بطل الرواية في زيارة الأولياء والتجرد من الدنيا وكل متاعها والتوجه نحو العوالم الإلهية النورانية، بداية بتخليه عن مشاغل الأسرة الصغيرة وتكليف الزوجة بها وتخليه عن أجرنه لها، ليتفرغ لحضور المجالس الروحانية، والبحث عن الأولياء وأضرحتهم باحثا عن الراحة الروحية، حيث يندمج ضمن الحضرة في الغياب المطلق في فضاءات مريحة وملائكية ووصولا إلى رغبته في البقاء ضمن هذا العالم الروحاني الممتع"يا رجال الله تردد صوت صيحتي المرتجفة في جبال الظهرة السامقة تبعتهم جريت خلفهم، جريت وجريت حتى طرت، صرت عصفورا مغردا في سماء فسيحة صافية شعرت بسعادة غامرة وأنا أسبح في الفضاء الجديد الذي أحببت البقاء فيه، رافضا العودة إلى هناك إلى دنياهم إلى أوهامهم" 4

5-جماليات الرواية الجديدة في الجزائر:

إن التوجه العام عند الروائيين الجزائريين في المرحلة التسعينية وما بعدها هو الرغبة الجامحة نحو التجريب المستمر وخوض مجالات جديدة في مجال الكتابة الروائية، وإن كانت الرواية الجزائرية في بداية هذه الفترة قد ارتهنت لما هو مأساوي ومحزن جراء المأساة الوطنية التي شغلت بال المثقف وأثرت في كتاباته، وطبعت إبداعاته بطابع التأزم لذلك نجد في هذه الرواية، البطل المأزوم الخائف و المتوتر والمشكك والهارب والمضطهد والمهاجر، كما أن البطل الروائي لم يعد يسعى لبث رسالة تنويرية كما عهدناه في الرواية الواقعية بل صار جل همه هو البحث عن الخلاص الفردي بعد أن تخلى عنه الجميع.

كما أن البنية الفنية للرواية اتجهت نحو التفكك، حتى ليلاحظ القاريء أنها تتجه نحو كتابة اللارواية، حيث تمتزج الفنون ويمسرح الحدث،وتهمش الشخصية ويتلاعب بالأزمنة والفضاءات وتغيب الحكاية و ذلك استجابة لواقع مضطرب لا تحكمه مسارات تطور منطقية بل تحكمة فوضى عارمة في كل مجالات الحياة، ذللك أن الرواية كنص لا تعدو أن تكون "بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية سوسيو نصية "50

وخلاصة القول: إن الرواية الجزائرية منذ نشأتها كانت شديدة التأثر بالمناخات الثقافية التي عاشت فيها، فعكست العي العام السائد في كل فترة من فترات تطورها وازدهارها، وقد كانت استجابة الرواية الجزائرية لمتغيرات الواقع سياسيا واجتماعيا وثقافيا، تتضمن الشكل و المضمون، مع انفتاحها على تيارات التجديد ،فقد نشأت متأثرة بالفكر الإصلاحي ومتبنية الشكل التقليدي المتناص مع الأشكال السردية العربية القديمة، ثم تحولت إلى تجاوز كل ماهو قديم مع التيار الواقعي متبنية وجهة النظر المادية في تصوير الواقع وتحليل معطياته، لكنها اليوم تمارس كل أنواع الخرق والتجديد للشكل والمضمون محاولة مسايرة الواقع النتسارع في التحول والتبدل المستمر.

قائمة المصادر والمراجع:

1 -أبو القسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديثن المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر،ط3،سنة 1985،ص 22

2- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية. بحث في تقنيات السرد. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب. الكويت .العدد 240 . سنة 1998.ص 32

3-حنا عبود. من تاريخ الرواية. اتحاد الكتاب العرب. سوريا. سنة 2002.د/ط. ص 154/153

4-محمد مصايف.ا لنثر الجزائري الحديث.ا لمؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. د/ط.سنة1983.ص 101

5- صالح مفقودة, أبحاث في الرواية العربية. منشورات مخبر أبحاث في الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر ,بسكرة .الجزائر. كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

6 -ينظر ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ت : يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، سورية، ط1 سنة 1988.

7- ينظر جريدة البصائر، ريدة صادرة عن جمعية العلماء الجزائريين، العدد 90،ليوم 05 سبتمبر 1949

8- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د/ط، سنة 2006،ص 371/370

9-عبد الملك مرتاض.أدب المقاومة الوطنية في الجزائر.(1830-1962).ج2.سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث. الجزائر.د/ط.سنة 2003.ص 144/143

10-جريدة المنتقد. سياسية تهديبية .تصدر عن نخبة من الشبيبة الجزائرية. تحت إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس .تقديم وتصحيح. عبد الهادي قطش. العدد1. الخميس2.جويلية 1925.دار الهدى .ميلة الجزائر سنة 2005.ص5

11- م.ن.ص7

12-ينظر: أبو القاسم سعد الله،دراسات في الأدب الجزائري الحديث.ص .88.

13- م.ن.ص88/87/86

14-واسيني الأعرج. اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية. المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر.د/ط.سنة 1986.ص126

15-أبو القاسم سعد الله.دراسات في الأدب الجزائري الحديث.88

16-أحمد رضا حوحو.غادة أم القرى. مطبعة التليسي .تونس. د/ط.سنة 1947

17-عبد المجيد الشافعي. الطالب المنكوب.دار الكتب العربية.تونس.د/ط.سنة 1951

18-واسيني الأعرج.اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.ص65

19-غالي شكري.العنقاء الجديدة.صراع الأجيال في الأدب المعاصر.دار الطليعة للطباعة والنشر.بيروت.ط1.سنة1977.ص13

20- القرآن الكريم.سورة الحجرات الآية 10.برواية ورش عن نافع

21-غادة أم القرى.ص.62/61

22-واسيني الأعرج.اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.ص.195

23-واسيني الأعرج. اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.467

24- م.ن.ص343

25-محمد مصايف.دراسات في النقد والأدب.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر.د/ط.سنة 1981.ص51

26-عبد الحميد عقار.الرواية المغاربية،تحولات اللغة والخطاب،شركة النشر والتوزيع المدارس.الدار البيضاء. المغرب.ط1.سنة 2000.ص23

27- طه وادي. الرواية السياسية.مكتبة لبنان.ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر.لوجمان.ط1.سنة 2003.

28- ينظر: عبد الحميد بن هوقة،ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،ط/3.سنة 1976.ص8

29-الطاهر وطار.اللاز.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.ط2.سنة 1978.ص84

30-الطاهر وطار. العشق والموت في الزمن الحراشي،(اللاز2)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. د/ط.سنة 1980.نهاية الرواية.

31- طه وادي الرواية السياسية.ص21

32-إدريس بو ذيبة.الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار.وزارة الثقافة –الجزائر عاصمة القافة العربية- د/ط.سنة 2007.ص.41

33-ناصر يعقوب.الرؤية والتشكيل دراسة في فن جمال ناجي الروائي.المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت-لبنان-ط1.سنة2001.ص.17

34-إدريس بوذيبة.الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار. ص.41

35 - واسيني الأعرج. اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.ص82

36- م.ن.ص 14

37-الطاهر وطار. اللاز.ص 107/106

38-محمد مصايف.دراسات في النقد والأدب.ص.185

39- بدري عثمان، الجازية والدراويش، مرداد ولقاء، محاولة لتلمس فعل التقاليد الأدبية، مجلة التبيين، تصدر عن الجاحظية، العدد 06، سنة 1993، ص 96

40-عبد الحميد بن هدوقة،الجازية والدراويش،المؤسسة الوطنية للكتاب.د/ط.سنة 1983.ص 66

41- م.ن.ص.10

42-مصطفى فاسي، القصة الجزائرية، مجلة الثقافة تصدر عن وزارة الثقافة، ع18، ديسمبر سنة 2008. ص99

43-م.ن.ص 102

44- محمد الباردي.الرواية العربية والحداثة.دار الحوار للنشر والتوزيع.سورية .ط/2.سنة 2002.ص.53

45-عبد الحميد بن هدوقة . غدا يوم جديد. منشورات الأندلس . الجزائر.د/ط.سنة 1992. ص. 73

46-أحلام مستغانمي،فوضى الحواس.منشورات أحلام مستغانمي.بيروت لبنان.ط12.سنة2003 .ص 39

47- م.ن.ص.11

48-أحلام مستغانمي. عابر سرير.منشورات أحلام مستغانمي.بيروت لبنان.ط2.سنة.2003.ص.09

49-محمد مفلاح.سفر السالكين.دار الكوثر للنشر والتوزيع.الجزائر.ط1.سنة 2014.ص107

50-سعيد يقطين.انفتاح النص الروائي .المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.المغرب.ط2.سنة 2001.ص4